

الكشاف

ذو القرنين : هو الإسكندر الذي ملك الدنيا . قيل : ملكها مؤمنان : ذو القرنين وسليمان . وكافران : نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود . واختلف فيه فقيل : كان عبدا صالحا ملكه الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه . وقيل : نبيا . وقيل : ملكا من الملائكة . وعن عمر B أنه سمع رجلا يقول : يا ذا القرنين فقال : اللهم غفرا ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي B : سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال : أحبه A فأحبه . وسأله ابن الكوا : ما ذو القرنين ؟ أملك أم نبي ؟ فقال : ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة A فمات ثم بعثه A فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه A فسمي ذو القرنين وفيكم مثله . قيل : كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونهم فيحييه A تعالى . وعن النبي A : " سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها " .

وقيل : كان له قرنان أي صغيرتان . وقيل : انقرض في وقته قرنان من الناس . وعن وهب : لأنه ملك الروم وفارس . وروي : الروم والترك . وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس . وقيل : كان لتاجه قرنان . وقيل : كان على رأسه ما يشبه القرنين . ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره .

والسائلون : هم اليهود سألوه على جهة الامتحان . وقيل : سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في " عليكم " لأحد الفريقين " من كل شيء " أي من أسباب كل شيء أرادته من أغراضه ومقاصده في ملكه " سببا " طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب " فاتبع سببا " يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا . وقرئ : فاتبع قرئ : حمأة من حمئت البئر إذا صار فيها الحمأة . وحامية بمعنى حارة . وعن أبي ذر : كنت رديف رسول A على الجمل فرأى الشمس حين غابت فقال : " يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه ؟ " فقلت : A ورسوله أعلم . قال : " فإنها تغرب في عين حامية " وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن . وقرأ ابن عباس : حمأة . وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية : حامية فقال ابن عباس : حمأة . فقال معاوية لعبد A بن عمرو : كيف تقرأ ؟ قال : كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار . كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال : في ماء وطنين كذلك نجده في التوراة . وروي : في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع : .

فرأى مغيب الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثا ط حرم د .

أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمأة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا . كانوا كفرة فخيرها □ بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوههم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال : أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك : فذلك هو المعذب في الدارين " وأما من آمن وعمل " ما يقتضيه الإيمان " فله جزاء الحسنى " وقيل : خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل " فله جزاء الحسنى " فله أن يجازي المثوبة الحسنى . أو فله جزاء الفعل الحسنى التي هي كلمة الشهادة . وقرئ : فله جزاء الحسنى أي : فله الفعل الحسنى جزاء . وعن قتادة : كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر . ومن آمن أعطاه وكساه " من أمرنا يسرا " أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره : ذا يسر كقوله : " قولا ميسورا " الإسراء : 28 ، وقرئ : يسرا بضميتين .

" ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحننا بما لديه خيرا " .

وقرئ مطلع اللام وهو مصدر . والمعنى : بلغ مكان مطلع الشمس كقوله : .

كأن مجر الرامسات ذيولها